والانسانية لكون الشعر مظهرا من مظاهر الابداع الفكري الانساني وهو العربي الذي يعجب بالكلام الفصيح . ويهتز للشعر الجميل . فقد ذكر عنه في قصة اجد الوفود بأنه وصف شعر شاعر وكلام بليغ من وفد تميم بقوله .

(ان من البيان لسحرا . وان من الشعر لحكمة)(٢٧)

وروى لحكما ... اي ان يبلغ ببيانه مايبلغ الساحر بلطافة حيلته في سحره(٢٨) فاذا تذكرنا ان كلام الرسول (ص) هذا قد قاله في رجل ذم رجلا ومدحه في آن واحد . عرفنا اعجابه (ص) بالكلام البليغ والقول البين الحسن مما يؤكد كون الرسول (ص) لم يمنع العرب من قول الشعر انشاده وسماعه كما ان مفهوم الشعر مفهوم ينسجم مع ماهو مطلوب من مساهمة الشاعر في خلق الشخصية العربية في اطارها الخير الملتزم .

وهناك اقوال اخرى قد تكون اكثر وضوحا من القول السابق لكونها تبين نظرة الرسول (ص) الى الشعر . وتقسيمه له .

(انما الشعر كلام ومن الكلام طيب وخبيث)(٢٩)

(انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق فهو حسن . ومالم يوافق الحق فلا خير فيه)(٣٠)

وفي رواية اخرى تشبه في معناها ماسبق وهي قوله (ص) :-
(الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام فأقوال الرسول (ص) هذه تخص الشعر بمفهومه العام لا الخاص . فهو لم يخص به شعر المسلمين دون غيرهم . ولم يقل ان الشعر الجيد هو شعر المسلمين فقط وانما استعمل كلمة الحق بمفهومها العام التي يمكن ان يدرج ضمنها كل شعر يدعو الى الحق والمثل العليا بما في ذلك كل شعر قيل قبل الاسلام وفيه موافقة للحق . فالرسول (ص)

---

(٢٧) مسند الامام احمد ٢ / ٥٩١ . ٦٢ . ٩٤ النهاية في غريب الحديث مادة (سحر) وفيه تفسير الحديث ومعنى السحر . العمدة ١ / ٢٧ .

(٢٨) جمهرة الامثال العسكري ١ / ٥٠ . الجامع الصغير للسيوطي ١ / ١٦٩ وتتمته فيهما (وان من العلم جهلا . وان من القول عيالا) وفي ادب الدنيا والدين رواية اخرى انظر الاسلام والشعر / الجبوري ٥٢ . ٥٣ .

(٢٩) العمدة ١ / ٢٧

يوجه انظار المسلمين الى ان الشعر نتاج انساني لكنه ينقسم الى ضربين ، الاول لاخير فيه لانه لايوافق اي جانب من جوانب الغير التي يجب ان يدعو اليها الشاعر او ان يشيعها في مجتمعه . والثاني ضرب موافق للحق والخير والجمال فهذا هو النمط الشعري المطلوب وما سواه لافائدة منه . وهو في توجيهه العام ينسجم مع قوله الاخر (ص) .

(بعثت لاتمم حسن مكارم الاخلاق)(٣٢)

فالشعر المتمم لمكارم الاخلاق من هذه الناحية شعر حق وخير وما كان منافيا للحق بمفهومه العام فلا خير فيه .

واذا كان الرسول (ص) في تقسيمه للشعر هنا قد عرفه بأنه كلام فأنه حدده (بالتأليف) الذي يعني فيما يعني انفراده عن الكلام العادي بالنظم والصنعة عكس الكلام المطلق الذي لافن فيه ولا تأليف ولا نظام وسنجد هذا التعريف عند النقاد فيما بعد الا انهم اضافوا اليه عنصري الوزن والقافية . فالشعر عندهم (كلام موزون مقفى) الا ان الرسول (ص) اكتفى بتعريفه بالقول بأنه كلام مؤلف . لان العرب آنذاك ماكانوا بحاجة الى توضيح ركني الشعر وانهما الوزن والقافية . ثم ان كلامه (ص) منصب على توجيه افكار العرب آنذاك الى ضرورة توجيه الشعر وجهة خير مما يطبق الاية الكريمة الواردة في سورة الشعراء .

ونلمح في حديث اخر تعريفا للشعر فيه اضافة اخرى وهو قوله (ص) : ـ
(الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في بواديها . وتسل به الضغائن من بينها)(٣٣) . فقد اضاف الرسول (ص) وصف الجزالة التي تعني فيما تعني المتانة والرصانة وكل ماخلاف الركة(٣٤) . وبذا ميز الشعر من النثر بوصف اسلوبه ومتانته وقوته(٣٥)

وقد يفهم منه جماله وفنه . ثم بين (ص) غاية الشعر بقوله (تتكلم به في بواديها ...) ويشمل هذا ايضاً عموم الشعر الذي قيل في عصر الاسلام وقبله . فهو

---

(٣٢) الموطأ : حسن الخلق ، ٨
(٣٣) العمدة ١ / ٢٨

الذي عبرت به العرب عن مشاعرها واحاسيسها في باديتها . وهو وسيلة خيرة يمكن ان يصل بها الشعراء الضغائن والاحقاد وان يرققوا النفوس ويهذبوها . ففاية الشعر اذن التعبير عن واقع الحياة العربية واصلاح ذات البين بين ابناء العرب . وكان الشاعر رسول الخير والاصلاح ولسان حال القبيلة والافراد في البادية .

هذا هو تعريف الرسول (ص) للشعر وبيانه لمهمة الشاعر التي جعلها فعالة لخدمة الرسالة الاسلامية من جهة . ولحمل الرسالة الانسانية في تعبير الشاعر عن واقع حياته من جهة اخرى حيث يصور احاسيسه واحاسيس جماعته والتزامه بالدفاع عنهم . مما يساعد على تصفية الاجواء الانسانية التي تربط قومه بالمجموعة العربية . وبذا يؤدي الشعر مهمة خاصة واخرى عامة . فالخاصة تظهر في تصوير المشاعر الفردية والجماعية . والعامة تتمثل بتوخي الخير والحق بمفهوميهما العام . والدفاع عن الدعوة بشكل خاص .

ان الوقوف عند مهمة الشاعر . وجدوى الشعر في الحياة امران يشغلان بال الناقد والسامع والشاعر . والرسول (ص) بتعريفه للشعر قد قدم لنا بعض جوانب هذه الصورة لمهمة الشاعر التي لم يحددها في الدفاع عن الحق او الدعوة فحسب بل جعل مهمته انسانية شاملة كبيرة مؤثرة . اليست مهمة الشاعر كشف جوانب الجمال والوجدان في الحياة ؟ او ان يحرك المشاعر في النفوس فيجعلها تعيد النظر فيما كانت تتصور اعتيادياً او مقبولاً ؟ او ان يلفت انتباه السامع الى امور ماكان يلتفت اليها . فلولا الشعر لافتقدت الحياة الى كثير من معاني الفضيلة والجمال . ونعني بالجمال مفهومة العام المتمثل بجمال الخلق والمثل الشخصية كالكرم والعفة والصدق لا الجمال بمعناه الحسي وحده فبعض مهام الشاعر بعث الفضائل وحب الحياة من خلال النفس الانسانية السمحة وجمال خلق الله في كائناته البشرية والطبيعية .

والشاعر البدوي حمل هذه المهمة حين اضفى على حياة البادية كل فضائل الخير وكساها مشاعر الحب والحيوية فجعلها محببة الى اهلها جميلة في عيون متخيليها لارتباطها بمثل الخير والحق والفضيلة .

ان مهمة الشاعر تفوق مهمة الفارس احياناً اذا احسن استخدام موهبته الشعرية فكان عنصراً فعالاً في مجتمعه ينير سبل الخير والمحبة والسلام ويحرك مشاعر العطف والحنان والعفو اذا اقتضى موقف ما وساطة شاعر . والرسول (ص) نفسه قضى حاجات عرضت له شعراً لما اثاره اصحابها من مشاعر المودة والعطف . فشاعر هوازن يستثير عطف الرسول (ص) على اسرى قبيلته بعد معركة حنين بشعر رقيق

يستدر عطفه وعفوه . ويستثير عاطفته بأن يذكره بمرضعته التي ارضعته وهي من بني سعد من هوازن واخواتها اللاتي ينتظرن عفوه . فيستجيب الرسول (ص) لطلب الشاعر ويعفو عن قومه ويهب المسلمون نصيبهم من الغنائم والاسرى ليردوها الى اهلها(٣٦) .

وضمن هذه الرؤية نستطيع ان ندرج اراء الصحابة وخاصة الخليفتين الراشدين في تعريف الشعر وبيان مهمته . فالخليفة عمر بن الخطاب (رض) وصف بأنه كان من انقد اهل زمانه للشعر وانفذهم فيه معرفة(٣٧) يكتب الى واليه ، (مر من قبلك بتعلم الشعر فأنه يدل على مكان الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الانساب(١) .

هذا التعريف استمرار لقول الرسول (ص) بأن الشعر تسل به الضغائن وان احسن الشعر ماوافق الحق . فليس كل الشعر منهيا عنه لان مادلّ على مكارم الاخلاق وما كان فيه حكمة وصدق انساني وما حفظ تراث الامة وانسابها فهو مما يجب تشجيعه وتعليمه . وروى عنه ايضاً انه قال ، ـ

(علمو اولادكم العوم والفروسية ورووهم ماسار من الامثال وحسن من الشعر)(٣٨)

وقوله ، (أرووا من الشعر اعفه . ومن الحديث احسنه . ومن النسب ماتواصلون عليه وتعرفون به . فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهي عن مساويها)(٣٩) . كما ان بامكان الشاعر عرض حاجته من خلال شعره الانساني الجميل مادام صائنا نفسه عن الذل والصغار فشعره وسيلة لقضاء حاجة في دفع شر او استعطاف لئيم كما يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) ،

---

(٣٦) انظر الاسلام والشعر / الجبوري ٦٢ . وانظر تأثره (ص) بانشعار قتيلة بنت الحارث حين رثت اخاها الذي قتل مشركاً . العمدة ١ / ٥٦ . زهر الاداب ٢ / ٢١ .

(٣٧) البيان والتبين ١ / ٣٤١ . العمدة ١ / ٣٣ .

(٣٨) البيان ٢ / ٢٦

(خير صناعات العرب ابيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستميل بها الكريم ويستعطف اللئيم)(٤٠) وقوله ،

(نعم ماتعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته)(٤١)

ففي هذين القولين تعريف للشعر ومهمته فهو صناعة يتفنن بها ويميز شاعر عن اخر بمقدار ابداعه واجادته وقدرته على عرض حاجته على صاحب الشأن موقف مشروع لايفهم منه الخليفة عمر تكسباً وذلاً لان الخليفة فعلا قد قضى حاجة اكثر من شاعر عرضت عليه شعراً. فقد صور شاعر من الشعراء يصدق معاناة الانسانية وألامه بسبب حرمانه من ابنه الذي اندفع مع الفاتحين يحمل راية الجهاد . وقد كان الشاعر شيخاً ضعيفاً لم يقو على تحمل فراق ولده(٤٢) وصور شاعر اخر ضعفه وشيخوخته مطالبا الخليفة عمر بأرجاعه ولده اليه وقد قضى الخليفة حاجة هؤلاء الشعراء بارجاع ابنائهم اليهم واذا كانت المشاعر التي اجادوا تصويرها في اشعارهم لاتمثل ظاهرة في الشعر العربي في الحياة العربية الاسلامية انذاك والتي كان فيها الشباب يتسارعون الى الجهاد فأن تأثر الخليفة عند سماعه اشعارهم يدلنا على تطبيقه لمفهوم الشعر ومهمة الشاعر اللذين وردا في اقواله . اما الامام (ع) فقد عرف الشعر بأنه (ميزان القوم او القول)(٤٣) ففيه يوزن ادب الرجال . وقدرتهم البيانية . وتعرف من خلاله اخلاقهم وقيمهم ومثلهم . وقد نسبت اليه عدة وصايا تأمر بتعلم الشعر وتربط مهمة الشاعر بترسيخ القيم الخلقية وحفظ اصالة الامه بما يسجله الشاعر من انساب قومه وذوي رحمه ، ـ

(علموا اولادكم العوم والفروسية وروهم ماسار من الامثال وحسن من الشعر)(٤٤) .

وهو قول نسب من قبل الى الخليفة عمر . ولا خلاف في هذا لانه يدل في هذه الحالة على فكر مشترك فيما يخص نظرة العرب آنذاك ازاء الشعر ووجوب تعلمه وعده رياضة عقلية يجب تعليمها للشباب مثلما يجب تعليمهم الرياضة البدنية والفروسية والسباحة .

---

(٤٠) البيان ٢ / ٧٢ . العمدة ١/ ٦٥ وفي العقد الفريد ٥ / ٣٧٤ خير صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها في حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها قلب اللئيم .

(٤١) راجع في هذا الاغاني ٣ / ١٩٠ خزانة الادب ٢ / ٥٠٥ ـ طبقات الشعراء ص ٣٣ ليدن .

(٤٢) العمدة ١ / ٢٨ .

وقوله ، (اروا من الشعر اعفّه . ومن الحديث احسنه . ومن النسب توصلون عليه وتعرفون به قرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت . ومحاسن الشعر تدل على مكارم الاخلاق وتنهى عن مساويها)(١١) وقوله ايضاً ، ـ

(احفظ محاسن الشعر يحسن ادبك . فأن من لايعرف نسبه لم يصل رحمه . ومن لم يحفظ محاسن الشعر لم يؤد حقاً . ولم يقترف ادباً)(١٢) ففي هذه الاقوال جميعا تبني لمفهوم الشعر ومهمة الشاعر الواردة عند الرسول (ص) ونظرته الى الشعر وتقسيمه اه الى ضربين وتشجيع ماوافق الخير . فمفهوم الشعر عند الخليفتين الراشدين يبين انه وسيلة فنية تعبر عن صدق الاحاسيس والمشاعر ويتخذ جانب الخير والفضيلة ليساهم في تهذيب النفوس . وهو رياضة فنية اخلاقية لابد من وجوده . كل هذا لايخرج عن اطار مفهوم الشعر في الاسلام او مفهومه لدى الرسول (ص) .

النقد والواقع الشعري في صدر الاسلام : ـ

ان دراسة الواقع الشعري لمعرفة مفهوم الشعر، ووضع النقد في العصر الاسلامي ينسجم مع الاحاديث النبوية السابقة . ومع الاية الكريمة التي وجهت الشعراء وصنفتهم صنفين .

لقد ذكر عن الرسول (ص) انه حين اشتدت قريش في حربها للمسلمين وسخرت شعراءها للنيل من الدين الجديد ونبيه الكريم طلب الرسول (ص) من الشعراء نصرته والذود عن دينهم وعقيدتهم قائلا ،

(مايمنع القوم الذين نصروا رسول الله (ص) بسلاحهم ان ينصروه بألسنتهم فقال حسان ، انا لها ... واخذ بطرف لسانه . وقال ، والله مايسرني به مقول بين بُصرى وصنعاء)(١٣) .

وهكذا نلمح في دراسة الواقع الشعري في عصر الرسول (ص) تشجيعا للشعر والشعراء . « وتوجيها » نحو الالتزام الديني والخلقي فحين انبرى المسلمون مدافعين عن الدين الاسلامي بكل مايملكونه من طاقة مادية اندفعوا ايضاً للذب عنه

---

(١١) جمهرة انساب العرب ٣٦ .

(١٢) وقد روى مثل هذا القول مع خلاف بسيط عن الخليفة عمر (رض) ايضاً في جمهرة اشعار العرب ٣٦ .

(١٣) طبقات فحول الشعراء / ٧٨١ .

99% 4:59 م ASIACELL
تم 2 من 28

بالوسيلة الاعلامية المعروفة آنذاك وهي الشعر الذي تسير به الركبان . ويتناشده الناس في مجالسهم ومسامراتهم خاصة ان المشركين قد فطنوا الى اهميته وافادوا منه في نشر معارضتهم للاسلام وهجائهم للرسول (ص) لابد ان يتخذ المسلمون ايضاً الشعر وسيلة من وسائل الدعوة ان لم يكن تعبيراً رائعاً عما تجيش به نفوس شعرائهم من مشاعر الحماس والتأييد للدين الذين آمنوا به . وقد ذكرت اقوال كثيرة شجع بها الرسول (ص) الشعراء الذين سعوا فيما بعد بشعراء الدعوة . حسان بن ثابت . عبدالله بن رواحة . كعب بن مالك . منها ،

ـ لشعرك اجزى عند قريش من سبعين رجلاً مقاتلاً .
ـ هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل .

ـ اهجهم فوالله لهجاؤك اشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام او غبش الظلام .
ـ اهجهم ومعك جبريل روح القدس .
ـ اهجهم انت (والخطاب لحسان) سيعينك عليهم روح القدس .
ـ اللهم ايده بروح القدس .
ـ ان روح القدس معك(٤٧)

وقد علق ابن رشيق على هذه الاقوال مدافعا عن مكانة الشعر والشاعر في عصر الرسالة بقوله (لو انه حرام ما اتاهم ولا امرهم)(٤٨)

ان هذه الاخبار تدلنا على بعد نظر الرسول (ص) وادراكه لاهمية الشعر اذا وجه الى خدمة الدعوة الاسلامية ونشر الخير فقد ذكر انه (ص) نادى يوما عبدالله بن رواحة وهو في المسجد فلما قدم سأله . كيف تقول الشعر اذا قلته؟ فقال عبدالله اتظلس فسي ذلك ثم اقول . فقال الرسول (ص) فعليك بالمشركين .(٤٩)

ولايفهم من سؤال الرسول (ص) المعنى الحرفي الظاهري للاستفهام المباشر انما اراد (ص) ان يوجه الشاعر عبدالله بن رواحة للدفاع عن الدعوة شعرا . وقد فهم الشاعر قصده فاجابه بأن قول الشعر يقتضي التأمل في المعنى المراد وصفه والقول فيه وهكذا انبرى عبدالله بن رواحة لهجاء قريش والمشركين .

---

(٤٧) مراجع هذه الاقوال في الجامع الصغير ٢ / ٢٠٩ . البخاري ٢٢ . المساجد ٢٥ . وانظر الاسلام والشعر ٤٩ . ديوان كعب ٣٢ .
(٤٨) العمدة ١ / ٣٦ .

مفهوم الصدق والمبالغة : ـ

ان مفهوم الصدق ودراسة ظاهرة المبالغة في القول من المسائل المهمة التي شغلت بال النقاد قديما وحديثا وسنجد في اقوال الرسول (ص) والصحابة من بعده مايدل على ان بداية كثير من الاراء النقدية قد وجدت في هذه الفترة بشكل او بآخر وان كانت هذه البدايات جزء من التوجيه الاخلاقي العام وليست مذهبا اديبا خاصا .

لقد نجح الشعراء كثيرا في اخيلتهم وبالغوا في اماديحهم واهاجيهم واختلفت آراء النقاد في هذه المبالغات وكانت تعليقاتهم في العصر الجاهلي تعليقات قائمة على الانطباع السريع او التذوق الاني فيما يتعلق بنفورهم من المبالغة المفرطة او اعجابهم بها اذا ادت غرضها في الفخر او الهجاء او المديح . ونلمح رأي الرسول (ص) في المبالغة في خبر له مع الشاعر النابغة الجعدي الذي طلب منه الرسول (ص) ان ينشده شعرا فأنشده حتى اذا بلغ قوله ، ـ

علونا السماء عفة وتكرما
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وانكر النبي (ص) هذا القول وقال ، الى اين يا ابا ليلى !!! فقال ، الى الجنة يارسول الله فيقول الرسول (ص) ، الى الجنة ان شاء الله ....

وواضح ان انكار الرسول (ص) قول الشاعر منصب على مبالغته وافراطه في فخره حيث ادعى ان خبر عفة قومه وكرمهم قد بلغا السماء وتجاوزاها وانهم يطلبون شيئا ابعد من هذا يطاولون به السماء او مافوقها . فلما انكر الرسول (ص) مبالغته اجاب الشاعر بذكاء حاد اجابة تنسجم مع توجيهات الرسول (ص) للشعراء وهي توظيفهم لتطبيق مبادىء الاسلام . وتوخيها في سلوكهم واشعارهم . فقومه حقا يطلبون فخرا وسؤددا يعلون بهما السماء وليس هناك الا الجنة التي وعد بها المتقون والمؤمنون والشاعر يفخر بأن قومه منهم . وهنا يمكن ان تنضوي مبالغة الشاعر ضمن المبالغة المقبولة المحتملة الوقوع ، هذا في الفخر ونجد في المديح موقفا مماثلا للرسول (ص) في رواية قيل ان الرسول (ص) سمع رجلا يثني على رجل ويكثر من مديحه فقال (ص) ، اهلكتم الرجل او قطعتم ظهر الرجل . والله تعالى يقول (فلا تزكوا انفسكم فالاسلام دين القصد)(٣٢) .

---

(٣٢) الاسلام والشعر ، ص ٨٨

وقبول المبالغة في الاشعار او رفضها متعلقان بمفهوم الصدق فهل تقبل مبالغة الشاعر في تصويره معنى من المعاني اذا اجاد واحسن في التصوير ام انه مطالب بصدق الموقف ازاء موصوفه وما اتصف به من صفات . ومن ثم فأن مبالغاته في الاوصاف مرفوضة مادامت بعيدة الصلة عن موصوفها كما يعرفه الواقع الحقيقي له .

وسنجد النقاد فيما بعد يقسمون الصدق الى انواع وفق هذين الموقفين . فهناك صدق الشاعر في التعبير عن مشاعره وتصوير واقع حاله او حال المعنى الذي يريد وصفه وهناك صدق الشاعر الفني وهو نجاحه في تصوير معنى من المعاني سواء وجد في الواقع ام لم يوجد . كأن ينجح في مدح واصفا كل قيم الخير والجمال والحق التي يفتقدها في الواقع ولكن قدرة الشاعر الفنية تجعله موفقا في تخيل وجود هذه الصورة المثلى للممدوح .

وسنجد ان الموقف الاول بشأن مفهوم الصدق هو السائد في هذه الفترة من خلال الروايات الكثيرة التي اعجب بها الرسول (ص) او المسلمون ببعض الاشعار لانها صادرة عن صدق في تصوير تجربة انسانية يقرها الواقع ويقبلها العقل مهما اختلف الزمان والمكان .

لقد مر بنا ان نظرة الاسلام والرسول (ص) للشعر والشعراء قد اقترنت بالدعوة الى الالتزام الخلقي والديني واصلاح ذات البين وحفظ الانساب فلا عجب ان نجد في هذه الفترة بدايات المذهب الاخلاقي في النقد والدعوة الى الصدق والالتزام الخلقي في اقبال الرسول (ص) وآراء الصحابة الذين اثرت عنهم اقوال في هذه المسألة .

لقد ابدى الرسول (ص) اعجابه بأبيات من الشعر الجاهلي انشدت امامه وكانت معانيها في الحكمة موافقة لما يدعو اليه الاسلام من الخلق القويم والمثل العليا . فقد علق (ص) على قول عدي بن زيد :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن مقتد

بأنه كلمة نبي القيتك على لسان شاعر(٦٨) ومعلوم ان كلام النبوة صادق فكأن ما صوره الشاعر هنا من كلام النبوة لصدقه وهو صادق قائم على تصوير حكمة انسانية

---

(٦٨) الايجاز والاعجاز (ضمن خمس رسائل) ص ٣٨